تفسير ابن كثير

قد تقدم الكلام على حروف الهجاء في أول سورة البقرة بما أغنى عن إعادته هنا وبا التوفيق وأما قوله : { أحكمت آياته ثم فصلت } أي هي محكمة في لفظها مفصلة في معناها فهو كامل صورة ومعنى هذا معنى ما روي عن مجاهد وقتادة واختاره ابن جرير ومعنى قوله { من لدن حكيم خبير } أي من عند ا الحكيم في أقواله وأحكامه خبير بعواقب الأمور { أن لا تعبدوا إلا ا } أي نزل هذا القرآن المحكم المفصل لعبادة ا وحده لا شريك له كقوله تعالى : { وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون } وقال { ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا ا واجتنبوا الطاغوت } وقوله { إنني لكم منه نذير وبشير } أي إني لكم نذير من العذاب إن خالفتموه وبشير بالثواب إن أطعتموه كما جاء في الحديث الصحيح أن رسول ا صلى ا عليه وسلّم صعد الصفا فدعا بطون قريش الأقرب ثم الأقرب فاجتمعوا فقال : [يا معشر قريش أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا تصبحكم ألستم مصدقي ؟] فقالوا : ما جربنا عليك كذبا قال : [فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد] وقوله : { وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعا حسنا إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله } أي وآمركم بالاستغفار من الذنوب السالفة والتوبة منها إلى ا D فيما تستقبلونه وأن تستمروا على ذلك { يمتعكم متاعا حسنا } أي في الدنيا { إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله } أي في الدار الاخرة قاله قتادة كقوله : { من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة } الاية .

وقد جاء في الصحيح أن رسول ا صلى ا عليه وسلّم قال لسعد [وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه ا إلا أجرت بها حتى ما تجعل في في امرأتك] وقال ابن جرير : حدثني المسيب بن شريك عن أبي بكر عن سعيد بن جبير عن ابن مسعود Bه في قوله : { ويؤت كل ذي فضل فضله } قال من عمل سيئة كتبت عليه سيئة ومن عمل حسنة كتبت له عشر حسنات فإن عوقب بالسيئة التي كان عملها في الدنيا بقيت له عشر حسنات وإن لم يعاقب بها في الدنيا أخذ من الحسنات العشر واحدة وبقيت له تسع حسنات ثم يقول هلك من غلب آحاده على أعشاره وقوله : { وإن تولوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير } هذا تهديد شديد لمن تولى عن أوامر ا تعالى وكذب رسله فإن العذاب يناله يوم القيامة لا محالة { إلى ا مرجعكم } أي معادكم يوم القيامة { وهو على كل شيء قدير } أي هو القادر على ما يشاء من إحسانه إلى أوليائه وانتقامه من أعدائه وإعادة الخلائق يوم القيامة وهذا مقام الترهيب كما أن الأول مقام ترغيب